الأديب
أنطون شماس

أنطون شماس كاتب متعدد اللغات والثقافات

عبد الرحمن مرعي

ولد الشاعر والروائي أنطون شماس[1] في قرية فسوطة بالجليل عام 1950. درس الابتدائية في مدرسة قريته، وفي عام 1962 انتقلت عائلته إلى حيفا، وهنالك تعلّم في مدرسة مختلطة يدرس فيها العرب واليهود، وأنهى تعليمه الثانوي فيها. في 1968- 1972 تعلم في الجامعة العبرية في القدس الأدب الإنجليزي وتاريخ الفنون والأدب العربي الحديث، ولكنه لم ينل شهادة جامعيّة. وفي العام 1975 عمل في إنتاج برامج أدبيّة في القسم العربي للتلفزيون الإسرائيلي، وبدأ في مطلع الثمانينيات بنشر المقالات الأسبوعيّة في صحيفة "كل هعير" الصادرة في القدس، حتى مغادرته البلاد في العام 1987.

شارك شماس في عام 1981 في برنامج الكتابة الدولي في جامعة أيوا. ونال زمالة من مؤسسة روكفلر وأمضى سنة (1987- 1988) في مركز دراسات الشرق الأدنى وأفريقيا في جامعة ميشيغان، آن آربور. ثم عمل عدة سنوات محاضرًا زائرًا في هذه الجامعة في تدريس الأدب، وفي العام 1997 عيّن محاضرًا بدرجة بروفيسور في دائرتي الأدب المقارن ودراسات الشرق الأوسط في نفس الجامعة. ولا يزال يسكن في آن آربور حتى إعداد هذه الدراسة.

شماس هو كاتب ثلاثيّ اللغة يتقن ملكة اللغات الثلاث، العربية والعبرية والإنجليزية، بأسلوب أدبيّ راقٍ. لقد بدأ شماس نشاطه الثقافي في مجلة "الشرق" التي تأسست عام

---

[1] شماس هي كلمة سريانية وتقال باليونانية (دياكونوس - diakonos) وفي القبطية (ريف شمشى)، جميعها تعنى (خادم). والشماس هو خادم الكنيسة وهو من يقوم بمعاونة الكاهن في أداء الخدمات الدينية والصلوات الكنسية، وقد ورد ذكره وظيفة الشماس لأول مرة في سفر أعمال الرسل (أعمال الرسل 6). حيث تم اختيار عدد من المؤمنين واشترطت فيهم اشتراطات معينة للقيام بعدد من الخدمات، وكانت الخدمة الاجتماعية هي أولى مسئولياتهم للحد من انشغال الرسل الأوائل بالخدمة الدنيوية على حساب الخدمة الدينية الروحانية والخدمة الكرازية، ثم تحولت تلك الوظيفة إلى رتبة من رتب الخدمة الكهنوتية وهي (الشموسية). وأنظر ar.wikipedia.org

1970، إذ كان أحد مؤسسيها المعتمدين ورأس تحريرها على مدى خمسة أعوام متتالية (1971- 1976).[1] هذه الفترة صقلت مواهبه الأدبية، حيث قام بنشر إبداعاته الأولى في هذه المجلة، ومن ثمّ انطلقت مسيرته الأدبية شاعرًا وكاتبًا ومترجمًا للغتين العربية والعبرية، وفيما بعد درس اللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكيّة. هذه النتاجات والقدرات المتعددة الألوان واللغات أكسبته القدرة على اختراق المنصات الأدبيّة محليًا وعالميًا.

لقد لفتت مؤلفات أنطون شماس أنظار الباحثين والدارسين داخل إسرائيل على المستوى التعليمي في مناهج التدريس للأدب العبري في المدارس الثانوية اليهودية والعربية. على سبيل المثال، يتعلم الطلاب العرب في الوحدة الخامسة للبجروت قصيدتين لأنطون شماس وهما: דיוקן (ملامح الشخصية) و שירים לאבי (قصائد لأبي). وأيضًا، على المستوى الأكاديمي، ثمة اهتمام بتدريس النتاجات الأدبية لشماس في إطار المساقات التدريسية التي تناقش مسألة أدب الأقليات في مجتمع متعدد الثقافات أو أدب المهاجرين.[2]

وفي مجال الدراسات الأكاديمية العليا، ساهمت الجامعات الإسرائيلية، وعلى وجه التحديد، جامعة بار- إيلان بنشر أبحاث تخصّ شماس من خلال الموافقة على دراسة مؤلفاته لباحثين لدرجات الدكتوراه والماجستير. ففي عام 1996 أنهت بروريه مرغولين رسالة الدكتوراه في الأسلوب النحوي في القصة العبرية والقصة الفلسطينية متخذة من رواية "عربسكوت" أنموذجًا للمقارنة. وفي عام 2009 أنهى الأستاذ عادل شقور دراسة الماجستير بموضوع تأثير العربية على الكتابات العبرية لشماس.

في المرجعيات الأدبية يتم تسليط الضوء على أنطون شماس من عدّة جوانب:

[1] تجدر الإشارة إلى أن تأسيس المجلة كان بمبادرة الجريدة الحكومية "الأنباء" التي صدرت في الأعوام 1968- 1985.

[2] مثال على ذلك، مساق تحت مسمى שפת סופרים מהגרים: היבטים פסיכולוגיים, רב-תרבותיים ואוריינים في جامعة تل- أبيب، قسم تدريس اللغات في العام الدراسي 2010- 2011 تطرق الدارسون إلى مؤلفات سيّد قشوع، سلمان مصالحة وأنطون شماس.

أولاً- أديب مستقلّ، شأنه كشأن الأدباء الآخرين الذين أثبتوا حضورهم في الإبداع الأدبيّ. وثانياً- ينظر إليه جزءًا من كلّ وذلك ضمن الأطر الآتية: ضمن الأدباء العرب في إسرائيل أو ضمن الأدباء المحليين، كما هو متبع في توصيف الأدباء العرب في إسرائيل؛ وضمن الأدباء العرب الفلسطينيين في إسرائيل، وبهذا كان شماس يصف نفسه في الثمانينيات كفلسطيني إسرائيلي؛ وضمن الأدباء المترجمين البارزين في الترجمة من العربية للعبرية؛ وضمن الأدباء الذين ينتمون إلى الأقلية في مجتمع متعدد الثقافات؛ وضمن الأدباء الذين يكتبون في لغة الآخرين. إنّ هذه الجوانب لم تنشأ من فراغ، وهي ناجمة عن الوضع السياسي الذي تقبع فيه الأقلية العربية في إسرائيل بوجه عام، والأدباء على وجه الخصوص. بالإضافة إلى الميزات الإبداعية الفردانية التي يتمتع بها في الأدب، حيث أشغلت بال الكثيرين من الدارسين.

الثنائية اللغوية لدى شماس

من الطبيعي أن يكتب الأديب بلغة الأم، ولكن الكتابة بلغة أخرى لا تنشأ من فراغ، وأصبحت ملازمة لمكونات العولمة في عصرنا الحالي. ويدّعي بوسقيلة أنّ الكتابة بلغة الغير ظاهرة مألوفة في العالم، ولا تقتصر على فئة عرقية أو أقلية معينة (إلعاد- بوسقيلة، 2010)، وعادة ما تكون هذه الكتابة وليدة الاغتراب واللجوء في أعقاب انتقال الكتّاب من وطنهم إلى مواطن أخرى؛ وإمّا وليدة هيمنة لغة الأغلبية على الأكثريّة في نفس الدولة. وينطبق هذان الادعاءان على شماس، كفلسطيني قضى المرحلة الأولى من حياته في هذه البلاد، اتخذ من المزواجة الإبداعية في الكتابة بين العربية والعبرية إماماً ومحراباً. ومن ثمّ انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وجعلها وطنًا ثانيًا له، ومن الإنجليزية لغته اليومية والكتابية.

أشار شماس إلى المزاوجة بين العربية والعبرية في إحدى قصائده العبرية (שמאס, 1979: 46):

אֲנִי לא יוֹדֵעַ

שָׂפָה מֵעֵבֶר מִזֶּה,

וְשָׂפָה מֵעֵבֶר מִזֶּה

וַאֲנִי הוֹזֶה בְּשֶׂטַח הַהֶפְקֵר

لست أدري

لغة من هنا،

ولغة من هنا،

وأنا أمارس الهذيان في الأرض الحرام

يعدّ عطا الله منصور أول كاتب عربي يكتب رواية بالعبرية سمّاها באור חדש "في ضوء جديد" عام 1966. ومن بعده كانت هنالك محاولات للكتابة بالعبرية، ولكنها كانت محدودة. ويعود الفضل للكتابة بالعبرية إلى أنطون شماس ونعيم عرايدي، إذ أن كتاباتهما بالعبرية فرضت نفسها على الأدب العبري وأصبحت جزءًا منه، وذلك بخلاف الأدباء الآخرين الذين كانت كتاباتهم العبرية بمثابة موضة عابرة (שניר, 1997: 142).[1] وتبعهم سيد قشوع الذي يكتب فقط بالعبرية، وبهذا يختلف عن باقي زملائه الكتّاب العرب، ثنائيي اللغة، الذين يكتبون بالعربية والعبرية أو يكتبون بالعربية وترجمونها للعبرية.

[1] وفي نفس السياق نذكر جزءاً من الحوار الذي أجرته الدكتورة صالحة رحوتي مع المرحوم محمود درويش، حيث طرحت عليه السؤال الآتي "ما رأيك بالأدب العربي المكتوب باللغة العبرية، خصوصاً أن ثمة أسماء ولو قليلة لمعت في هذه اللغة؟

وكان جوابه: "لم أقرأ من هذا الأدب إلا رواية مهمة هي "أرابيسك" للكاتب أنطون شماس. الآن هناك ما يشبه "الموضة"، وهناك أيضاً روائيون وشعراء شباب وجدد اختاروا العبرية للكتابة .ربما تسعى هذه البادرة إلى الاندماج الثقافي في المجتمع الإسرائيلي. هذا لدى بعضهم .ولدى البعض الآخر قد يكون هذا الخيار نوعاً من المقاومة ضد الإسرائيليين في لغتهم نفسها. هكذا يقول هؤلاء. وقد يحسن البعض، بسبب تكوينهم ونشأتهم عبرياً، التعبير باللغة العبرية أفضل من العربية. هناك تفسيرات عدة. ولكن هذا خيار لدى أقلية محدودة". islamtoday.net/nawafeth/artshow-53-104216.htm

بالرغم من أن المؤلفات العبرية التي سطّرت بأقلام عربية تشكل جسراً للحضارة بين الثقافتين العربية والعبرية في البلاد، وأن مستواها اللغوي والأدبي لا يقلّ عن نتاجات الكتّاب اليهود، إلاّ أن هنالك ثمة جدلاً منقطع النظير بين النقاد اليهود حول شرعية هذه المؤلفات. هنالك رأيّ يؤكد على أن هذه الكتابات تقع خارج شرعيّة الأدب العبري، ويتبنّى هذا التوجّه سنير (שניר, 1997) الذي يقول بأن الأدب العبري يتبع لمن ينتمي إلى اليهودية، وأورن (אורן, 1992) الذي يدّعي بأن الأدب العبري يمتاز بالطابع القومي اليهودي، وهذا بطبيعة الحال يلزم صاحبه أن يكون ذا "رؤيا"، ولن يتأتى ذلك إلاّ من قِبل يهودي صهيوني. أما الباحث أمير (אמיר, 1992: 39- 40) يرفض تقبل هذه التوجهات ويرى بان الكتّاب العرب بنتاجاتهم العبرية يعززون منحى وجود إسرائيل كمجتمع قومي، علماني وديمقراطي.

أنطون شماس الشاعر بالعربية والعبرية

بدأ شماس، أديبًا ناشئًا، مشواره الأدبي في كتابة الشعر، وهو يعدّ من شعراء التجديد. لقد أصدر شماس كتابه الأوّل بالعربية "أسير يقظتي ونومي" عام 1974 مجموعة شعرية. ومن ثم نشر مجموعتين شعريتين بالعبرية: الأولى- כריכה קשה (غلاف مقوّى) عام 1974؛ والثانية- שטח ההפקר (الأرض الحرام) في العام 1979.

يستشف من الدراسة لديوان "أسير يقظتي ونومي" التي أجراها فاروق مواسي (1976) أن شماس يلج من خلال قصائده في عالم مثقل بتجارب مبهمة وحالات شعرية يمتزج فيها الوعي باللاوعي ويتعايش فيها المنطق واللامنطق. فاسم الديوان يشير إلى الحركة والوعي واللاوعي (شماس، 1974: 74):

أحلم يقظتي ونومي

أسير ليلي ونومي

لا أسير. أسير يقظتي ونومي

يلاحظ أن الديوان متأثر من العبرية وثقافتها، والدليل على ذلك ما ذكره مواسي أن شماس ضمّن قصائده بأبيات قديمة وجمل توراتية انتشرت بين السطور بخفاء وذكاء. وأمّا إخراج الكتاب "فهو منقول عن كتابي (أمير جلبواع) شكلا وتبويبًا، وقد قصر الشاعر بضعة أبيات في أعلى كل صفحة على غرار (جلبواع)، بل إن طريقة افتتاحية الكتاب لدى الشاعرين وجعلها قصيدة ....وطريقة كتابة الفهرست وأسماء القصائد بمطالعها هي لهذا الشاعر العبري.."

أنطون شماس القاصّ والروائي بالعبرية

خاض شماس تجربة الكتابة بالنثر العبري، وكان متألقاً بذلك، وبفضل هذه الكتابة اكتسب الشهرة في الأدب، فأضحى أديباً مستقلاً يشار إليه بالبنان داخل إسرائيل وخارجها. كما وفتح الباب على مصراعيه للكتابة بالعبرية أمام كتّاب عرب آخرين ليخوضوا غمار تجربته الناجحة. أما كتابته فانحصرت في "قصة أكبر كذاب في العالم" و"عربيسكا".

قصة أكبر كذّاب في العالم (خرافة)

اهتم شماس بأدب الأطفال، وفي عام 1982 أصدر كتابه "أكبر كذّاب بالعالم"، تضمّن الكتاب لوحات بريشة دودو جيبع. والكتاب يعتمد بالأساس على أسطورة شعبية عربية تدور أحداثها في مملكة بعيدة واسمها مملكة الكذب.

بعد ثلاثين عامًا من صدور الكتاب، بادرت دار النشر "كيتر" إلى إعادة إصداره من جديد. لقد وافق شماس على ذلك، كما وافقت عائلة جيبع على تسليم نص الكتاب ورسوماته إلى المصمم لاهف هليفي، وتم إصدار الكتاب بحلّة جديدة من نفس دار النشر (كيتر). وحول الطبعة الجديدة للكتاب يقول شماس:[1]

[1] هذا الاقتباس نشر في جريدة هآرتس بتاريخ 26-5-2011 ويظهر في موقع:
hkzathdthcohen.blogspot.com/2011/07/blog-post.html

إعادة نشر" أكبر كذاب في العالم"، بعد حوالي ثلاثة عقود منذ نشر الطبعة الأولى في سنة حرب لبنان إياها، تثبت شيئاً واحداً ربما، يبعث على الطمأنينة والابتهاج :أن حبلَ الكذب، دائما، طويل .وليس بالضرورة بالمفهوم السلبي للتعبير .في الحقيقة، لقد مرت أكاذيب كثيرة منذئذ تحت الجسر، وحقائق كثيرة غرقت في المياه الآسنة دون أن يبقى لها أثر، والجسر، كما اتضح، لم يكن جسراً على الإطلاق في يوم من الأيام .ولكن رؤية دودو جيڤع مرة ثانية على الغلاف الخلفي منغمساً، كعادته، في عمله، كأنه تغلب على الموت، كأن الموت نفسه لم يكن إلا أكذوبة كبيرة، فإن هذا من نوعية الأشياء التي تمنحني العزاء والتي لا تحدث ولا أصادفها كل يوم .فها هو ذا الفن إذن، بكل الخطوط والألوان والخيال الجامح، وبحس الدعابة الذي لا ينصاع أبداً لقانون التقادم، وبكل هذه الأكاذيب الرائعة -- الفن يستطيع ذلك أيضاً .كأبهى ما يكون شأنَ الصداقة، وشأنَ الحب.[النص من ترجمة شماس].

رواية عربيسكا

حظيت رواية عربيسكا إلى اهتمام عالمي وخلال السنوات الثلاث التي تلت صدورها تُرجمت إلى عدّة لغات أجنبية، وهي على التوالي: اللغة الإنجليزية عام 1988، والفرنسية عام 1988، والإسبنيولية عام 1988، والهولندية عام 1989، والألمانية عام 1989، والإيطالية عام 1990، والبرتغالية عام 1991. ثم صدرت بترجمة تركيّة عام 2005. ولكن بالرغم من الاهتمام العالمي بهذه الرواية، فإنها لم تترجم إلى العربية حتى الآن.

ويظهر عنوان الرواية باللغة العربيّة تحت عدّة مسميّات: آرَبِسْك، أرابيسك، عربسكا، عربيسكا، عربسك، عربيسكوت. المعنى الحرفي لكلمة ערבסקה عربيسكا فن التوريق؛ فن الزخرفة العربية، مثل الأبنية والكتابات (سغيف،1985). ويمنى العيد (1990: 126) تذكر المعاني الآتية: تزيين يقوم في تداخل منفلت، غناج، للزهور والثمار والخطوط وألخ... لقد كان شماس موفقًا في اختيار العنوان، كما يؤكد على ذلك حسام الخطيب (1990: 337):

"من بين كل ما قرأته من روايات في هذه الدنيا الواسعة، لم أجد عنواناً موفقًا مثل هذا العنوان (عربسك)، سواءً في إيحائيته أو في مطابقته لكل مشهد من مشاهد الرواية. وفي

العادة يصعب الجمع بين الإيحاء ودقّة المطابقة، وفي الروائيين من يغلِّب الإيحاء فيبعد بالعنوان عن المقصود، ومنهم من يغلِّب الدقّة فيفقد شيئًا من إشعاع العنوان".

ويشير العنوان منذ الوهلة الأولى إننا نقف على باب عالم تتداخل فيه الأشياء وتلتف مكوناته بعضها على بعض. كل شيء متداخل في هذه الرواية، التي تدور في كنف السيرة الذاتية للكاتب. هنالك تداخل بين الانبناء السردي وأحداث القصة التي ترتكز على الذاكرة، حيث تختلط فيه الخرافة بالواقع، ويتماهى الأسطوري بالتاريخي. لقد صدّر شماس نصّه باقتباس لكلايف جيمس يقول "غالباً ما تكون الرواية الأولى للكاتب سيرة ذاتيّة مموّهة ، أما هذه السيرة الذاتية فهي رواية مموّهة". يحتفظ شماس باسمه وباسم أبيه وأفراد أسرته ولكنه يصنع من عناصر السيرة سيرة ذاتية للتجربة الجماعية (عاشور، 2001: 62).

يتمحور التداخل في القصة بنوعين من السرد القصصي: الأول- السيرة، والثاني- الرواية. ففي المنحى الأول هنالك إطلالة على سيرة أنطون الطفل الفلسطيني، يمتزج فيه الماضي والطفولة، زمن التذكر والحكايات، فالمكان فلسطين ولبنان، والشخوص غالبيتهم من عائلة شماس. أمّا في المنحى الثاني يسافر الراوي/ الكاتب إلى الولايات المتحدة الأمريكية للمساهمة في حلقة أدبية ويشير إلى أنه يكتب رواية، ولكن بالعبرية. هذا المنحى هو بمثابة الزمن الحاضر، زمن التأويل والملاحظة والتفكير، وزمن الحوار والكتابة، تتحاور في شخوص مختلفة، فلسطينية ويهودية، وتتشابك العقدة القصصية. يتداخل المنحيان السرديان، بحيث يوحيان للقارئ بأن الرواية تستمد مصداقيتها من السيرة (العيد، 1990: 131).

تعتمد الرواية على عنصرين أساسيين: الزمكانية والذاكرة. ففي إطار الزمكانية هنالك تنقلات كثيرة بين الأماكن وذكر فترات زمنية متفاوتة؛ وأما الذاكرة فتشكل الخيط الرئيس الثاني الذي يحبك وقائع الأحداث. يربط شماس بين الحكاية والذاكرة ووعي الهوية. فالحكاية تشير إلى الأحداث التي ألمّت بالشعب العربي الفلسطيني في أعقاب نكبة 1948، هنالك عملية استرجاع للأحداث تعزز منحى الربط بين المكان والذاكرة، منسوجة بأسلوب لغوي مثقل بالدلالات، تلقي بظلالها على إمكانيات لم شمل من بقي ومن هُجّر من أبناء

الشعب الواحد. ولكن في أرابسيك يظل هذا اللقاء إمكانية بعيدة المنال (عاشور، 2001: 64).

وحول الكتابة بالعبرية يقول الراوية في بداية الرواية نقلاً عن جورج برنارد شو في "بيجماليون": "لقد قلتم لي بأن الطفل حين يؤتى به إلى بلد غريب يتعلم لغة هذا البلد في بضعة أسابيع وينسى لغته، أجل، إنني طفل في بلادكم". هذه المقولة تشير إلى أن الكاتب يشعر بأنه غريب في إسرائيل، ويودّ أن يتعلم لغة هذا البلد، لذا يبدأ الكتابة بالعبرية. يشار إلى أن الرواية كتبت بلغة عبرية غنية، مما جعل الكثيرين من القراء والنقاد يبدون إعجابهم بها.

لقد لفتت رواية عربيسكا أنظار القراء والنقاد اليهود والعرب على حد سواء. وفي ذلك يقول إلعاد- بوسقيلة (2010: 237) "إن النقد العبري انقسم إلى قسمين: الأول، هو الإعجاب بالرواية واعتبارها عملاً إبداعيًا عبريًا بكل معنى الكلمة، بل والاغتباط بإغنائها اللغة العبرية في فترة كتبت فيها الأعمال الإبداعية، على حد رأيهم، بلغة عبرية ركيكة إلى حدٍ كبير. ومن جهة أخرى كان هناك نقّاد أدب هاجموا الرواية ليس لأسباب فنية أو تتعلق بجودة النص، بل رأوا إنه لا يمكن ضمّ هذه الرواية في إطار الأدب العبري لأن كاتبها، والعياذ بالله، ليس يهوديًا".

يذكر أنه عندما صدرت الرواية سأل أحد الصحافيين الأديب عاموس عوز بعد أن حظيت الرواية باهتمام كبير من قِبل النقاد الإسرائيليين: هل أن كتابة الرواية بالعبرية على يد عربي تشكّل حسب رأيك نقطة تحوّل في المجتمع الإسرائيلي؟ فأجاب- أعتقد أن هذا فعلاً انتصاراً! ولكن هذا ليس انتصاراً للمجتمع الإسرائيلي، وإنّما انتصار للغة العبرية، إذ أصبحت العبرية جذّابة بما فيه الكفاية، بأنّ إسرائيليًا غير يهودي يكتب بها، يدلّ على أننا حققنا هدفنا (לדע חבר, 1991: 23).

أما في العالم العربي، فقد حظيت الرواية باهتمام وتناولها النقاد بالشرح والتحليل من خلال قراءة النص المترجم للغتين الإنجليزية والفرنسية أو من العبرية مباشرة، وأثنوا على

كاتبها وكالوا المديح لإبداعه المميّز. على سبيل المثال، يمنى العيد حللت الرواية من منظور تقنيات السرد الروائي، وتقول في ذلك (العيد، 1990: 125): "بعد أن أنجزت هذه الدراسة التحليلية لرواية آرابيسك أني أفدت فيها، لا مباشرة ودون قصد، من معطيات البحث البنيوي لتقنيات السرد الروائي، كما أني وجدت أن إفادتي هذه لم تكن لتمسّ منطلقي النقدي المادي في النظر إلى النص الأدبي، أو، لم تكن لتتعارض وهذا المنطلق، أو تحول دون ممارستي النقدية على أساسه". وعن البناء الفني للرواية يذكر الخطيب (1990: 338): "أن أنطون شماس مهندس معماري موهوب، إنّه يصمم جماليات البناء خلال وظيفيّته ولكنه يحتفظ لكل جماليّة بحقها الخاص".

ويقول محمد صديق إنه قد سبق أن كتب كتّاب عرب يعيشون داخل إسرائيل كتبًا باللغة العبريّة، بما في ذلك أنطون شماس نفسه، ولكن هذه الرواية تختلف عن غيرها من ناحية النوعيّة والمستوى الفنيّ الرفيع، ويضيف (صديق، 2000: 157- 158): "أولا وقبل كل شيء عمل أدبيّ فذّ كان جديرًا بأن يثير اهتمامًا شديدًا بأيّ لغة كتبت، وبأي معايير فنيّة قيس، بغض النظر عن الإشكاليات الأخرى المتعلقة بهُويّة كاتبه وقرّائه. ذلك لأن عربسك طوّع اللغة العبريّة وفجّر من طاقاتها الأسلوبية والإيحائية أبعادًا وظلالاً تعبيريّة قلّما اجتمعت لأيّ كاتب معاصر آخر، بما في ذلك أفضل الكتّاب اليهود. بهذه القدرة الفنيّة استحق عربسك أن يسمّى الكتاب العبري بامتياز".

أنطون شماس المترجم

قضية الترجمة من العربية إلى العبرية وبالعكس تشغل حيزاً كبيراً في التبادل الثقافي بين الشعبين من قِبل أدباء ومترجمين عرب ويهود على حدٍ سواء. ويعدّ شماس من أكبر المترجمين العرب في البلاد من العربية إلى العبرية وبالعكس. لقد بدا طريقه الأول بالترجمة من العبرية إلى العربية، حيث قام بترجمة قصص وأشعار لأدباء يهود، وهي على التوالي: "السفرة إلى جزيرة يمكن"، "من صيف إلى صيف"، "إذاعة من قمر اصطناعي" و "صيد الغزالة" (انظر فيما يلي الترجمات من العبرية إلى العربية).

أما إبداعه في الترجمة من العربية إلى العبرية فتجلّى في ترجمة كتابات الأديب إميل حبيبي إلى العبرية، وهي الروايات الآتية: "المتشائل"، "إخطيّة" و"سرايا بنت الغول". روايات إميل حبيبي غاية في الصعوبة، فأسلوب حبيبي الإيروني واستخدامه لألفاظ لغوية معقدة التراكيب، والخلط بين الواقع والخيال بحاجة إلى مترجم متمرس يتمتع بقدرات لغوية هائلة، ولا يستطيع أيّ مترجم نقلها إلى العبرية. يذكر أن حبيبي اتصل بشماس وطلب منه ترجمة رواياته للعبرية لأنه كان يثق به وبقدراته في الترجمة. وحقاً، استطاع شماس إنجاز الترجمة، فكانت العبرية طيّعة للسانه بلغة سلسة وأفكار متواصلة.

وأما الترجمة من العربية إلى الإنجليزية فسالت من قلمه بحذاقة وبمهارة، خاصة في مجال الشعر. فترجم شماس العديد من القصائد للشعراء التالية أسماؤهم: حلمي سالم، عباس بيضون، عناية جابر، محمد زفزاف، بسام حجار، عقل العويط، سلمان مصالحة، محمود درويش وطه محمد علي وقصة قصيرة لعدنيّة شبلي (أنظر فيما يلي الترجمات من العربية إلى الإنجليزية).

أثر اللغة العربية في كتابات شماس العبرية

إن الكاتب ثنائي اللغة لا يستطيع التحرر من لغة الأم لدى انتقاله للكتابة بلغة أخرى. ويظهر هذا جليًا في مؤلفات شماس، عربيسكا وفي ترجماته إلى العبرية. لقد دلّت الأبحاث (ברוריה, 2003; שקור, 2009) أن اللغة العبرية تشتمل على المزج اللغوي، الذي يتمثل في العديد من المفردات والتعابير العاميّة والأمثال الشعبية المدونة باللسان العربيّ. على سبيل المثال، نعاين النص الآتي الوارد في عربيسكا (שמאס, 1986: 109):

... כשש שנים לאחר הדברים האלה פתח אבּו שאבָּר את הדלת בלי לדפוק ונעמד באמצע הטרקלין, ושק היוטה עדיין תחת אצילת ידו. חֵיירִ? שאלו דודי. לַא חֵיירִ וַלַא בַּלּוּט, אמר אבּו שאבָּר, הם בדרך. הכומר קם ראשון, ואחריו קמו שאר יושבי הטרקלין. מַלְמָד שהיה שם שהוכן בעוד מועד, נטלו דודי והלך בראש הכבודה אל המבואות המזרחים של הכפר. וכשהגיעו אל **אַל- מַחַאפָּר** הסיר דודי את **העַקָאל** מעל ראשו ונטל את **הפָּפִיָה** הצחורה שלו, ונעץ בה את דָּרְבַּן המַלְמָד, ונתן את דגל הכניעה בידיו של הכומר.

يعتمد هذا النص الأسلوب الحواري بين العم وأبو شاكر، فالعم يقول خير ويجيبه أبو شاكر لا خير ولا بلوط (مقوله بالعامية)، ثم يذكر المحافر (مكان شرقي القرية)، واللباس العربي الفلسطيني العقال والكوفية. يلاحظ في النص أيضًا، أن شماس لم يكتفِ بمزج كلمات عربية، وإنما استخدم مفردات من التوراة تخصّ الديانة اليهودية، وعمد على تشكيلها لأنها غير مألوفة للقارئ، مثل דְּרְבֵן הַמַלְמֶד.

وأخيرا نقول، تعدّ كتابات شماس، شعراً ونثراً، باللغات الثلاث، العربية والعبرية والإنجليزية، ظاهرة مهمّة في الساحة الأدبية في الحقلين اللغوي والثقافي، أشغلت بال الباحثين في الداخل والخارج (انظر فيما يلي بالدراسات والمراجع). فروايته اليتيمة عرابيسكا بالعبرية، التي كتبت قبل ربع قرن، نُسجت بأسلوب ومضمون مميّزين، أصبحت نموذجاً محفزاً للتقليد الأدبي، من قبل أدباء عرب يكتبون بالعبرية. وإننا نرى لو أن شماس واصل كتابته وفق هذا النهج لأنتج روايات أخرى لا تقلّ بمستواها عن عرابيسكا. وإنه بلا شك، سيكون لها رصيد من النقد تلقي بظلالها على كتابات شماس ككلّ.

المؤلفات/ الإصدارات

بالعربية:

شماس، أنطون. **أسير يقظتي ونومي**. القدس: مجلة الشرق، 1974.

بالعبرية:

שמאס, אנטון. **כריכה קשה- שירים**. תל- אביב: ספריית הפועלים, 1974.

_____ . **שטח הפקר- שירים**. תל- אביב: קיבוץ המאוחד, 1979.

_____ . **השקרן הכי גדול בעולם- סיפור עם ערבי**. ירושלים: כתר, 1982.

(יצא לאור מחדש בשנת 2011 על- ידי הוצאת כתר).

_____ . **ערבסקות**. תל- אביב: עם עובד, 1986.

الترجمات:

من العبرية إلى العربية

ילן שטקליס, מרים. **המסע אל האי אולי**. תל- אביב: דביר, 1972.

يلان شتكليس، مريم. **السفرة إلى جزيرة يمكن**. تعريب انطون شماس. ريشة عدنان عكّة، أعدها للطبع محمود عباسي. القدس : الشرق، 1972.

רוקח, דוד. **מקיץ אל קיץ**. ירושלים: ארבה, 1964.

روكياح، دافيد. **من صيف إلى صيف**. ترجمة أنطون شماس. القدس: الشرق، 1977.

אבידן, דוד. **תשדורות מלווין ריגול: שירים, תשדורות, מסמכים**. תל- אביב: מודן, 1974.

افيدان، داڤيد. **إذاعة من قمر اصطناعي: قصائد، إذاعات**. ترجمة انطون شماس. عكا: مكتبة ومطبعة السروجي للطباعة والنشر، 1982.

ציד הצביה – אנתולוגיה של 12 סיפורים עבריים מאת דוד שחר, עמליה כהנא-כרמון, חנוך ברטוב, עמוס עוז, אהרן מגד, דן צלקה, יורם קניוק, שולמית הראבן, יהודה האזרחי, א.ב. יהושע, יצחק אוורבוך-אורפז ויעקב שבתאי.

صيد الغزالة: 12 قصة من الأدب العبري الحديث، أعدّها وقدّم لها أنطون شماس. تل أبيب: جامعة تل أبيب. مدرسة اللغة والآداب، 1984.

من العربية إلى العبرية

حبيبي، إميل. **الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل**. القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1974.

חביבי, אמיל. **הכרוניקה המופלאה של היעלמות סעיד אבו אל-נחס אל-מתשאאל**. תרגום מערבית אנטון שמאס. ירושלים: מפרש, 1984. מהדורה מתוקנת הופיעה בהוצאת הקיבוץ המאוחד ב-1995.

حبيبي، إميل. **اخطيّة**. قبرص: منشورات مؤسسة بيسان بريس للصحافة والنشر والتوزيع، 1985.

חביבי, אמיל. **אח'טיה**. תרגום מערבית אנטון שמאס. תל אביב: עם עובד, 1988.

حبيبي، إميل. **سرايا بنت الغول** (خرافية). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 1991.

חביבי, אמיל. **סראיא בת השד הרע**. תרגום מערבית אנטון שמאס, תל- אביב: הקיבוץ המאוחד, 1993.

طه، محمد علي، **قصائد**.

טאהא, מוחמד עלי. **שירים, מהדורה דו- לשונית** (ערבית ועברית). תרגום מערבית אנטון שמאס, תל- אביב: אנדלוס, 2006.

من العربية إلى الإنجليزية

قصائد لبسام حجّار وعناية جابر وعقل العويط

Poems by Bassam Hajjar, Inaya Jaber and Akl Awit **(***Banipal*, no.28, Spring), 2007.

قصة قصيرة لعدنية شلبي

"Faint Hints of Tranquility," a short story by Adania Shilbi, in *The World Through the Eyes of Writers*, ed. By Salierno et al. (New York: Anchor Books), 2007.

ست قصائد لعباس بيضون

Six poems by Abbas Beydhoun (*Banipal*, No. 22, Spring) 2005.

ثلاث عشرة قصيدة لعناية جابر

Thirteen Poems by Inaya Jaber (*Banipal***,** No. 22, Spring), 2005.

ثلاث قصائد لحلمي سالم

Three poems by Hilmy Salem (*Banipal*, No. 7, Spring), 2000.

ثلاث قصائد لسلمان مصالحة

Three poems by Salman Masalha (*Banipal*, No. 7, Spring), 2000.

قصيدتان لمحمود درويش

Two poems by Mahmoud Darwish (*Banipal*, No. 4, Spring), 1999.

ثلاث قصائد لطه محمد علي

Three poems by Taha Muhammad Ali (*Banipal*, No. 2, Summer), 1998.

إعداد وتحرير

بصوت مزدوج. בשני קולות : קובץ דו-לשוני מיצירותיהם של משוררים וסופרים ערבים ויהודים (ירושלים : מרכז מ' בובר להשכלת העם – האוניברסיטה העברית : הוועד הבינדתי בישראל - אגודה לעידוד יחסי הבנה בין בני הדתות בישראל, חיפה : בית הגפן – המרכז היהודי ערבי, 1974.

خوري، إلياس. **باب الشمس: رواية**. بيروت: دار الآداب، 1965.

ח'ורי אליאס. **באב אלשמס**. מתרגם : משה חכם. ערך : אנטון שמאס. תל-אביב : אנדלוס, 2002.

ببليوغرافيا

إلعاد- بوسقيلة، عامي. الكتابة بلغته/ بلغتي- الكامل وأجزاؤه، في كتاب: **الكتابة بلغة الآخر**. أشرف على تحريره نوريت بوخفايتس، عبدالرحمن مرعي وألون فراغمان. تل- أبيب: رسلينغ، 2010، ص 229- 244.

حمادة، محمد عمر. **أعلام فلسطين**. الجزء الأول، دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1985.

الخطيب، حسام. **ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية**. دمشق: دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينيّة، 1990.

سغيف، دافيد. **قاموس عبري- عربي للّغة العبرية المعاصرة**. نيو يورك، 1985.

صدوق، راضي. **شعراء فلسطين في القرن العشرين- توثيق أنطولوجي**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن: دار فارس للنشر والتوزيع، 2000.

صديق، محمد (2000). "الكتابة بالعبرية الفصحى: تقديم رواية عربسك وحوار مع أنطون شماس". **ألف- مجلة البلاغة المقارنة**، عدد 20 (2000)، ص 155- 167.

عاشور، رضوى. **في النقد التطبيقي: صيّادو الذاكرة**. الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، 2001.

العيد، يمنى. **تقنيّات السرد الروائي في المنهج البنيوي**. بيروت: دار الفارابي، 1990.

مواسي، فاروق. "أنطون شماس بين الوعي واللاوعي"، في كتاب: **عرض ونقد في الشعر المحلي**. القدس: مطبعة الشرق التعاونية، 1976.

אלעד-בוסקילה, עמי. **מולדת נחלמת ארץ אבודה: שישה פרקים בספרות הפלסטינית החדשה.** אור יהודה: הד ארצי, 2001.

אלקלעי, עמיאל. "ביקורת על הביקורת לערבסקות מאת אנטון שמאס". **אפיריון**, 6 (1986), עמ' 74- 75.

אורן, יוסף. "עתיד כנעני לספרות העברית". **מאזניים**, ס"ו (1992), עמ' 63- 64.

אמיר, אהרן. "נורמה יהודית לספרות עברית". **מאזניים,** ס"ו (1992), עמ' 37- 40.

בלס, שמעון. "הזהות כחוויה ארוטית- מאמר ביקורת". **עיתון 77,** 77 (1986), עמ' 16- 17.

גלוזמן, מיכאל. "לזרוק פחית משקה אל תוך 'הברכה' של ביאליק: אינטרטקסטואליות וזהות פוסט- קולוניאלית ב'ערבסקות' של אנטון שמאס". **מחקרי ירושלים בספרות עברית**, י"ט (2003), עמ' 327- 347.

חבר, חנן. "עברית בעטו של ערבי: ששה פרקים על "ערבסקות" מאת אנטון שמאס". **תיאוריה וביקורת**, 1 (1991), עמ' 23- 38. נדפס שנית בספרו: הסיפור והלאום- קריאות ביקורתיות בקאנון הסיפורת העברית, תל- אביב: רסלינג ,2007, עמ' 283- 307.

טרגן, חנה. "הערבסקה- אין לה שם". **משקפים,** 38 (1999), עמ' 12- 15.

טרקל, עדה. "הערבסקה כמפתח להבנת מושגי היופי של שירת ספרד". **מקרא ועיון,** 62 (1992), עמ' 49- 53.

כרמל- פלומין, נילי. "העברית כשפת החסד- מאמר ביקורת". **מאזנים**, ס', 5- 6 (1986), עמ' 83.

לוטן, יעל. "לשמוח ולא לקונן- תגובה למאמרו של סמי מיכאל 'ערבסקות של הציונות'". מאזנים, ס' (1- 2), **מאזנים,** ס',3 (1986), עמ' 28- 30.

לויתן, עמוס. "העברית של "ערבסקות" ומשמעותה (מצד זה: מוספים, ספרים, אירועים)". **עיתון 77,** 307 (2006), עמ' 332.

מיכאל, סמי (1986). "ערבסקות של הציונות (הערות לויכוח בין א. ב. יהושע לבין אנטון שמאס)", **מאזנים**, ס' (1- 2), עמ' 10- 17.

מירון, דן. "'לענת השנים' עדיין לא עוכלה: על ה'ערבסקות' מאת אנטון שמאס". **העולם הזה,** 9 יולי 1986, עמ' 26.

מרגולין, ברוריה. **המיקוד התחבירי כאבן בוחן סגנונית בסיפורת העברית ובסיפורת הפלסטינית בנות זמננו: דיון השוואתי והמחשתו ב"ערבסקות" לאנטון שמאס**, עבודה לשם קבלת התואר דוקטור, רמת-גן: אוניברסיטת בר- אילן, 1996.

_____. "על הסוואת הקול האישי בטקסטים של יוצרים פלסטינים- ישראלים". **החינוך וסביבו,** 21 (1999), עמ' 147- 155.

_____ . "על דפוסי לכידות בין- תרבותיים". **סקריפט**, 5- 6 (2002), עמ' 81- 99.

_____. "שקיעים ערביים בלשונו של אנטון שמאס ב'ערבסקות'". **בלשנות עברית**, 52 (2003), עמ' 53- 60.

עמית, דליה. "אנטון שמאס- ערבסקות: תכנית רדיו ששודרה בקול ישראל בעריכת דליה עמית". **פרוזה**, 101- 102 (1988), עמ' 73- 78.

פלדמן, יעל. "של מי הזיכרון הזה, לעזאזל? עקדה, שואה ונצרות ערבית ב"ערבסקות" של אנטון שמא". **אלפיים,** 29 (2005), עמ' 53- 78.

שמאס, אנטון (1969). "על פרפרים ושירה". **היום**- מדור לספרות ואומנות, 2 מאי 1969, עמ' 3.

_____. "הספרות הערבית בישראל לאחר 1967". **סקרות,** 2 (1976), עמ' 2- 7.

_____. "אשמת הבבושקה". **פוליטיקה**, 5- 6 (1986), עמ' 44- 45.

שניר, ראובן. "פצע אחד מפצעיו: הספרות הערבית הפלסטינית בישראל", **אלפיים**, 2 (1990), עמ` 244—268.

_____."ואני הוזה בשטח ההפקר: יוצרים ערבים-פלסטיניים בלשון העברית". **בלשנות עברית**, 41-42 (1997), עמ' 141-153.

שקור, עאדל. **השפעת הערבית על הכתיבה העברית של אנטון שמאס**, עבודה לשם קבלת התואר מוסמך, רמת-גן: אוניברסיטת בר- אילן, 2009.

Balaban, Avraham. "Anton Shammas: Torn Between Two Languages", *World Literature Tod*, 63: 3(1989): 418- 421.

Brener, Rachel Feldhay. "In Search of Identity: The Israeli Arab Artist in Anton Shammas's Arabesques", *PMLA*, vol. 108 (1993): 431- 445.

Elad-Bouskila, A. "Arabic and/or Hebrew: The languages of Arab Israeli and Palestinian Writers In Israel", in A. Kamal and D.C. Jacobson (Eds.), *Identities in History and Literature*,1999, pp. 133-158. NY: St. Martin's Press.

Feldman, Yael S. Postcolonial Memory, "Postmodern Intertextuality: Anton Shammas's Arabesques Revisited", *PMLA*, vol. 114 (1999): 373- 389.

Ginsburg, Shai . "The Rock of Our Very Existence: Anton Shammas's Arabesques and the Rhetoric of Hebrew Literature", *Comparative Literature*, 58: 3 (2006): 187- 204.

Hever, Hannan_."Hebrew in an Israeli Arab hand: Six miniatures on Anton Shammas's Arabesques", *Cultural critique*, vol. 7(1987): 47-76.

Hochberg, Gil Zahava. "The Dispossession of Hebrew: Anton Shammas's Arabesques and the Cultural Space of Language". In *Crisis and Memory: The Representation of Space in Modern Levantine Narrative*, edited by Ken Seigneurie, Wiesbaden: Reichert, 2007.

Kayyal, Mahmoud, (2008). "Arabs Dancing in a New Light of Arabesques: Minor Hebrew Works of Palestinian Authors in the Eyes of Critics", *Middle Eastern Literatures*, 11:1(2008): 31-51.

Shammas, Anton."Anton Shammas' Diary", *New Outlook*, 3: 5 (1980): 43- 50.

_____. "The Creative Limit (Problems in Relations between Majority and Minority Culture in Israel, Relations between Ethnic Majority and Minority**",** *International Peace in the Middle East*,1987, pp. 43- 49.

Silberstein, Laurence J. "Palestinian critics and Postzionist discourse: Anton Shammas and Emile Habiby". in his: *The Postzionism debates: Knowledge and Power in Israeli Culture* ,New York ; London: Routledge, 1999 , pp. 127-163.

Szyska, Christian ."Geographies of the Self: Text and Space in Anton Shammas's Arabesques", *Narrated Space in the Literature of the Islamic World.* Ed. Roxane Haag- Higuchi and Christian Szyska. Weisbaden: Harrassowitz Verlag, 2001, pp. 217- 232.